



عناصر الموضوع

| 414 | مفهوم الماء |
|-----|----------------------------|
| 719 | الماء في الاستعمال القرآني |
| 44. | الألفاظ ذات الصلة |
| 777 | مكانة الماء |
| 777 | مصادر المياه |
| 779 | أوصاف الماء |
| 777 | فوائد الماء |
| 777 | الإنعام والانتقام |
| 781 | الماء في المثل القرآني |
| 450 | لمسات إعجازية في الماء |



مفهوم الماء

أولًا: المعنى اللغوي:

قال ابن فارس: «الميم والواو والهاء أصلٌ صحيح واحد، ومنه يتفرع كلمه، وهي الموه أصل بناء الماء، وتصغيره مويه، قالوا: وهذا دليلٌ على أن الهمزة في الماء بدل من هاء. يقال: موهت الشيء، كأنك سقيته الماء، وموهت الشيء: طليته بفضة أو ذهب، كأنهم يجعلون ذلك بمنزلة ما يسقاه. وقالوا: ما أحسن موهة وجهه، أي ترقرق ماء الشباب فيه يقال: ماهت السفينة تموه وتماه. دخل فيها الماء. وأماهت الأرض: ظهر فيها نزَّ، وأماه الفحل: ألقى ماءه في رحم الأنثى، ورجلٌ ماه القلب، أي: كثير ماء القلب» (۱)، وأصله موه بالتحريك؛ لأنه يجمع على أمواه في القلة ومياه في الكثرة (۲).

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

الماء-هو «جوهر سيال يضاد النار برطوبته وبرودته، وقيل: الماء جسم لطيف بسيط شفاف يبرد غلة العطش، به حياة كل نام»(٣).

وعرف الماء أيضًا بأنه: «سائل عليه عماد الحياة، يتركب من اتحاد الهيدروجين والأكسجين بنسبة حجمين من الأول إلى حجم من الثاني، وهو في نقائه شفاف لا لون له، ولا طعم، ولا رائحة، ومنه: العذب، والملح المعدني، والمقطر»(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، فالماء هو الماء.

⁽٤) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية القّاهرة ص٥٩٥.



⁽١) مقاييس اللغة ٥/ ٢٨٦.

⁽٢) انظر: الصحاح ٦/ ٢٢٥٠.

⁽٣) التوقيف على مهمات التعريف، المناوي ص٢٩٤.

الماء في الاستعمال القرآني

وردت كلمة (ماء) في القرآن الكريم (٦٣) مرة (١٠). والصيغ التي وردت هي:

| المثال | عدد المرات | الصيغة |
|--|---------------|---------------|
| وَأَنزَلَ مِن السَّمَاءِ مَاءً ﴾ [البقرة: ٢٢] | ०९ | اسم غير مضافة |
| ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَا قُكُرُ غَوْرًا ﴾ [الملك: ٣٠] | ٤ | اسم مضافة |

وجاء الماء في الاستعمال القرآني على وجهين (٢): الأول: الماء المعروف: ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُنْزِلُ عَلَيْكُم مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ [الأنفال:١١]. والثاني: النطفة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُم دَاّبَةٍ مِن مَّآءٍ ﴾ [النور: ٤٥]. يعني: من نطفة.

⁽١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٢٨٤، المعجم المفهرس الشامل، عبد الله جلغوم، ص ١٣٠١-١٣٠١.

⁽٢) انظر: الوجوه وُالنظآئر، الدامغاني ص ٤١٨، الوجوه والنظائر، مقاتل بن سليمان، ص١٨٩-١٩٠، نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي، ص٠٥٥-٥١.

الألفاظ ذات الصلة

١ المطر:

المطر لغةً:

الميم والطاء والراء أصلٌ صحيحٌ فيه معنيان: أحدهما -وهو المقصود-: الغيث النازل من السماء، يقال: مطرنا مطرّا(١٠).

المطر اصطلاحًا:

قال الراغب: «المطر: الماء المنسكب»(٢).

الصلة بين المطر والماء:

هو نوع من أنواع الماء الموجودة على الكرة الأرضية، لكن المطر مختص بالماء النازل من السماء.

٢ الثار:

النار لغة:

هي النار المعروفة، وهي مؤنث، وهي من الواو؛ لأن تصغيرها نويرة (١٠٠٠).

النار اصطلاحًا:

قال الراغب: «والنار تقال للهيب الذي يبدو للحاسة»(٤).

الصلة بين الماء والنار:

الماء تطفئ النار، فهما نقيضان لا يجتمعان.

⁽٤) المفردات ص٨٢٨.



⁽١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٥/ ٢٢٦.

⁽٢) المفردات ص ٧٧٠.

⁽٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٥/ ٢٤٢.

اليبس لغة:

يبس ييبس فهو يابسٌ ويبسٌ ويبسٌ ويبسٌ: إذا كان رطبًا فجف، وأصله: اليبوسة وهو المكان الذي لم يعهد رطبًا، فيبسُّ (١).

اليبس اصطلاحًا:

هو «المكان يكون فيه ماء فيذهب» (٢).

الصلة بين الماء واليبس:

إن وجود الماء في المكان يجعله رطبًا، فإذا فقد أصبح يابسًا، فالعلاقة بينهما عكسية، فوجود أحدهما يعنى عدم وجود الآخر.

⁽١) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي ص٥٨٢.

⁽٢) المفردات، الراغب الأصفهاني ص٩٨٨.

مكانة الماء

تحدث القرآن الكريم عن الماء كأصل لخلق الأحياء، وكأساس لاستمرار الحياة نوضح ذلك فيما يأتي:

أولًا: الماء كان قبل الكون:

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَنَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِنَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود: ٧].

عن سعيد بن جبير قال: «سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن قول الله: ﴿ وَكَاكَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾، على أي شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح(١) وعن مجاهدٍ رحمه الله، في قول الله: ﴿وَكَانَ عَرْشُ أُو عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾: قبل أن يخلق شيئًا ١ (٢).

وفي هذا المعنى روى البخاري بسنده عن عمران بن حصينٍ، قال: (إني عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه قومٌ من بني تميم، فقال: (اقبلوا البشرى يا بني تميم)، قالواً: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناسٌ من أهَّل اليمن، فقال: (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن؛ إذ لم يقبلها بنو تميم)، قالوا: قبلنا، جئناك؛ لنتفقه في الدين، ولنسَّألك عن أول هذا الأمر ما كان، قال: (كان الله ولم يكن شيءٌ قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات

وأكد القرآن الكريم على أن الحياة منذ نشأتها الأولى احتاجت إلى الماء كعامل أساسى لظهورها، حيث ذكر أن الطين كان أول مراحل خلق الكاثنات الحية والطين هو التراب المعجون بالماء، فقال عز من قائل: ﴿ ٱلَّذِيَّ أَحْسَنَ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَةً وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَانِ مِنطِينِ ﴾ [السجدة: ٧].

والأرض، وكتب في الذكر كل شيءٍ.)(٣).

ٱلْمَالِهِ ﴾ إلى أن الماء والعرش كانا مبدأ هذا

العالم؛ لكونهما خلقا قبل خلق السماوات

والأرض، ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا

الماء(٤).

أشار بقوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى

وقد ثبت علميًا أن الماء خلق قبل خلق الحياة، قال الدكتور زغلول النجار حفظه الله: «كوكب الأرض هو أغنى كواكب مجموعتنا الشمسية في المياه، ولذلك يطلق عليه اسم (الكوكب المائي) أو (الكوكب الأزرق)، وتغطى المياه نحو ٧١٪ من مساحة الأرض، بينما تشغل اليابسة نحو ٢٩٪ فقط من مساحة سطحها، وتقدر كمية المياه على سطح الأرض بنحو ١٣٦٠ مليون كيلومتر مكعب (١. ٣٦*٩١٠)، وقد حار العلماء منذ القدم في تفسير كيفية تجمع هذا الكم الهائل من المياه علي سطح الأرض؟

⁽٢) جامع البيان، الطبري ٢١/ ٣٣٠.



⁽٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، رقم ٧٤١٨.

⁽٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٦/ ٢٨٩.

⁽١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٢٦٦.

والشواهد العديدة التي تجمعت لدى العلماء تؤكد أن كل ماء الأرض قد أخرج أصلًا من جوفها، ولايزال خروجه مستمرا من داخل الأرض عبر الثورات البركانية (١٠).

ثانيًا: الماء والكائنات الحية:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَامِنَ ٱلْمَلَءِ كُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

قال بعض العلماء: «الماء الذي خلق منه كل شيء هو النطفة؛ لأن الله خلق جميع الحيوانات التي تولد عن طريق التناسل من النطف، وعلى هذا فهو من العام المخصوص».

وقال بعض العلماء: «هو الماء المعروف؛ لأن الحيوانات إما مخلوقة منه مباشرةً كبعض الحيوانات التي تتخلق من الماء، وإما غير مباشرة؛ لأن النطف من الأغذية، والأغذية كلها ناشئةٌ عن الماء، وذلك في الحبوب والثمار ونحوها ظاهرٌ، وكذلك هو في اللحوم، والألبان، والأسمان ونحوها؛ لأنه كله ناشئٌ بسبب الماء».

وقال بعض أهل العلم: معنى خلقه كل حيوانٍ من ماء أنه كأنما خلقه من الماء؛ لفرط احتياجه إليه، وقلة صبره عنه (٢).

ثالثًا: الماء أصل خلق البشر:

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآ وَ بَشَرًا فَجَعَلَهُ مُسَبًا وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان:

أي: خلق الإنسان من نطفةٍ ضعيفةٍ فسواه وعدله وجعله كامل الخلقة ذكرا وأنثى، كما يشاء، فجعله نسبًا وصهرًا، فهو في ابتداء أمره ولدٌ نسيبٌ، ثم يتزوج فيصير صهرًا، ثم يصير له أصهارٌ وأختانٌ وقراباتٌ، وكل ذلك من ماءٍ مهين (٣).

وقد شملت آية سورة القمر الأطوار المختلفة لخلق الإنسان.

قال تعالى: ﴿ أَلْرَيْكُ نَطْفَةً مِن مَنِي يُتَنَى ﴿ آَلُو يَكُ نَطُفَةً مِن مَنِي يُتَنَى ﴿ آَلُهُ كُرُ مُكَالًا مُنَادًا لَا أَوْجَيْنِ ٱلذَّكُرَ وَأَلَانُتَى ﴾ [القيامة: ٣٧-٣٩].

وقد وصف الله هذا الماء الذي هو أصل البشر بوصفين:

الأول: الماء المهين: قال تعالى: ﴿ ثُرُّ جَعَلَ نَسَلَهُ مِن سُلَالَةِ مِن مَّآءِ مَهِينِ ﴾[السجدة: ٨].

والمهين: الشيء الممتهن الذي لا يعبأ به (٤).

الثاني: الماء الدافق: قال تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ ٱلْإِنسَانُ مِنْ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَلَو دَافِقٍ۞ مَخْرُجُ مِنُ بَيْنِٱلصَّلْبِ وَٱلتَّرَآبِبِ ﴾ [الطارق: ٥-٧].

⁽٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٠٧.

⁽٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢١٦/٢١.

⁽١) موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة باختصار.

⁽٢) أضواء البيان، الشنقيطي ٥/١٤٣.

ماءٌ دافقٌ: أي: مصبوبٌ في الرحم (۱). يعني: من ماء مدفوق (۱). خارج بقوة وسرعة (۱).

والنظرة العلمية تتطابق مع القرآن في تلك التسمية؛ حيث إن سبب تدفقه هو تقلصات جدار الحويصلة المنوية والقناة القاذفة للمني مع تقلصات عضلات العجان (٤) فتدفع بالسائل المنوي بمحتوياته من ملايين الحيوانات المنوية عبر الإحليل إلى المهبل (٥).

رابعًا: الماء أصل حياة الكائن الحي:

«يقرر العلماء: أن الماء يدخل في بناء أي جسم حي؛ إذ هو في الحقيقة قوام حياته، فالماء في نظر العلم هو المكون الأصلي في تركيب مادة الخلية الحية. والخلية هي وحدة البناء في كل شيء حي، نباتًا كان أو حيوانًا، كما أن علم الكيمياء في أبحاثه الحديثة، أثبت أن الماء عنصر لازم وفعال في كل ما يحدث من التحولات والتفاعلات التي تتم داخل الأجسام، فهو إما وسط، أو عامل مساعد، أو داخل في هذا التفاعل، أو

ناتج عنه، إذن الماء هو السائل الوحيد الذي لا غنى عنه لأي كائن حي، مهما كان شكله، أو حجمه، تضاءل أم تضخم. ابتداء من الميكروبات الدقيقة – التي لا يمكن للعين المجردة أن تراها – وانتهاء بالفيلة والحيتان أضخم الكائنات الحية الموجودة على الأرض وفي البحار (٢٠).

ويشكل الماء ٩٠ ٪ من وزن بعض الكائنات الحية، أما في الإنسان فيشكل الماء أكثر من ٦٠ ٪ من وزن جسمه، إن الدماغ البشري يحوي ٧٠ ٪ من وزنه ماء، ونسبة الرثتان تحويان نسبة ٩٠ بالمئة ماء، ونسبة الماء في الدم ٨٣ ٪، ولذلك فإن الإنسان لا يستطيع العيش بصحة جيدة من دون ماء أكثر من يوم واحد.

خامسًا: الماء أصل حياة النبات:

أهمية الماء للنباتات لا تقل عن أهميتها للكائنات الحية، فالنباتات تمتص الماء من التربة، وبه الغذاء اللازم لنموه.

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلأَرْضَ هَامِدَةً فَإِنَا اللهِ عَالَى: ﴿وَتَرَى ٱلأَرْضَ هَامِدَةً فَإِنَا الْمَاتَ مِن النَّمَاتَ الْمَاتَ الْمَاتَ الْمَاتَ مِن صَلِّ رَفِع بَهِيج ﴾ [الحج: ٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَنْهِ * أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَنْشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ الْلَمَاءَ الْهَنَزَّتْ وَرَبَتْ

⁽٦) خواطر علمية بين الدين والعلم، محمد عبد القادر الفقي، من مقال منشور بمجلة منار الإسلام عدد فبراير سنة ١٩٨٥م.

⁽١) فتح القدير، الشوكاني ٥/٨٠٥.

⁽٢) جامع البيان، الطبري ٢٤/ ٣٥٤.

⁽٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٠/ ٢٦٢.

⁽٤) العجان: الدبر، وقيل: هو ما بين القبل والدبر. انظر: لسان العرب، ابن منظور ١٣/ ٢٧٨.

⁽٥) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد على البار ص ٥١.

إِنَّ ٱلَّذِيَّ آخَيَاهَا لَنُحْيِ ٱلْمَوْقَةَ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ فَيَرُّ ﴾ [فصلت: ٣٩].

أي: فإذا أنزل الله عليها المطر، اهتزت أي: تحركت بالنبات، وحييت بعد موتها، وربت أي: ارتفعت لما سكن فيها الثرى، ثم أنبتت ما فيها من الألوان والفنون من ثمار وزروع وأشتات النبات في اختلاف ألوانها وطعومه وروائحها وأشكالها ومنافعها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنْبَتَتُ مِن كُلِّ نَقِع وَلِهِذَا قال تعالى: ﴿وَأَنْبَتَ مِن المنظر طيب الريح (۱).

ومما كشفه العلم أن النباتات والأشجار إذا أحست بالعطش، أو بنقص الماء طلبته وألحت في النداء عليه، كما يصنع الأطفال من بني البشر، فقد قام فريق من العلماء في جامعة إنجليز بولاية ويلز الأسترالية بإجراء تجربة على النباتات التي تعاني من العطش، وسجلوا الذبذبات الصغيرة التي تصدر من أوراقها وسيقانها آنئذ، وقد استخدمت في هذه التجارب أجهزة دقيقة جدًا؛ لتسجيل ذبذبات الصوت، وقارنوها بالذبذبات الناتجة عن النبات في حال توافر الماء، وجدوا أن الذبذبات في الحالة الأولى أشد وأقوى، وكأن النبات يصيح ويصرخ؛ لكي يحصل على احتياجاته من الماء "".

سادسًا: الماء والدواب:

قال تعالى: ﴿ وَإِللَّهُ خَلَقَ كُلُّ مَا آبَةٍ مِن مَّلَهِ ﴾ [النور: ٤٥].

يذكر تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم، في خلقه أنواع المخلوقات، على اختلاف أشكالها وألوانها، وحركاتها وسكناتها، من ماء واحد، ﴿فَينْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ * كالحية وما شاكلها، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رَجْلَيْنِ ﴾ كالإنسان والطير، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى مَن يَمْشِي كَلَى أَرْبَيْم مَّن يَمْشِي كَلَى أَرْبَيْم مَن يَمْشِي

وكل ما يدب على الأرض ذات أصل واحد. ثم هي- كما ترى العين- متنوعة الأشكال. منها الزواحف تمشي على بطنها، ومنها الإنسان والطير يمشي على قدمين. ومنها الحيوان يدب على أربع. كل أولئك وفق سنة الله ومشيئته، لا عن فلتة ولا مصادفة، ﴿ يَعَنَّكُ اللهُ مَا يَشَاءً ﴾ غير مقيد بشكل ولا هيئة.

فالنواميس والسنن التي تعمل في الكون قد اقتضتها مشيئته الطليقة وارتضتها، ﴿إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءِ وَلَيْرٌ ﴾ وهي بهذا التنوع في الأشكال والأحجام، والأصول والأنواع، والشيات والألوان. وهي خارجة من أصل واحد؛ ليوحي بالتدبير المقصود، والمشيئة العامدة. وينفى فكرة الفلتة والمصادفة.

وإلا فأي فلتة تلك التي تتضمن كل

⁽٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٧٣.

⁽١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥٠/٥٠.

⁽٢) الإعجاز العلمي في الإسلام، محمد عبدالصمد ص ١٨٤.

قال الرازي رحمه الله: «لما كان الغالب جدًا من هذه الحيوانات كونهم مخلوقين من الماء، إما لأنها متولدةٌ من النطفة، وإما لأنها لا تعيش إلا بالماء لا جرم أطلق لفظ الكل تنزيلًا للغالب منزلة الكلي (١٠).

وتنوع المخلوقات مع وحدة المنشأ من دلائل التوحيد وإثبات الذات الإلهية.

يقوم الماء بوظائف عديدة مهمة وحيوية للمحافظة على استمرار الحياة، وتتلخص فيما يلي:

يعتبر الماء هو الوسط الذي يذوب فيه وتنتقل بواسطته جميع عناصر الغذاء من عضو لآخر حيث تؤدي وظائفها.

يسهل عمليات الهضم والامتصاص والإخراج، فوجود الماء داخل القناة الهضمية يسهل عملية الإخراج وتخلص الجسم من الفضلات.

يحافظ على مستوى الضغط الأسموزي بداخل وخارج الخلايا عند الحد الطبيعي، ويقوم بعملية التوازن الإلكتروني داخل الجسم.

هذا التدبير وأية مصادفة تلك التي تتضمن كل هذا التقدير؟ إنما هو صنع الله العزيز الحكيم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدي(١).

يقوم الماء بدور الملين للمواد الغذائية، فيسهل عملية مضغها؛ لوجوده باللعاب وبالتالي بلعها وهضمها.

يقوم بدور هام في المحافظة على ثبوت

درجة حرارة الجسم عند حدها الطبيعي،

ففى الأجواء الحارة وعند شعور الشخص

بارتفاع درجة الحرارة لإصابته بحمى مثلًا،

يحدث عملية التعرق التي ترطب الجلد

وتوازن درجة حرارته وتؤدي إلى انخفاضها.

للجسم والناتجة عن التمثيل الغذائي عن

طريق الكليتين؛ ليتخلص منها على هيئة بول

مثل البولينا والحامض البولي وغيرها.

يحمل الماء المواد الضارة أو السامة

يعتبر الماء عنصرًا مهما في عملية بناء الخلايا، ويساعد على سرعة التئام الأنسجة عند إصابتها بالجروح أو الأمراض، والماء في الجسم يوجد على شكلين؛ أحدهما خارج الأنسجة ويمثل الجزء الأكبر، والآخر داخل الأنسجة، والماء خارج الأنسجة يمثل السوائل الموجودة بالدم واللمف وسائل النخاع الشوكي والافرازات الأخرى؛ مثل الإفرازات المعدية، والصفراء والبنكرياس وغيرها، أما الماء داخل الأنسجة فيمثل السوائل المحيطة بالخلايا في المساقات البينية والسوائل المكونة للبروتوبلازم داخل الخلايا نفسها(٣).



⁽١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/ ٢٥٢٤.

⁽۲) مقاتيح الغيب، الرازي ۲۶/۲۶.

⁽٣) موسوعة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة.

مصادر المياه

للماء مصادر تحدث عنها القرآن الكريم نبينها فيما يأتى:

أولًا: السماء:

إنزال الماء من السماء يتردد في مواضع شتى من القرآن في معرض التذكير بقدرة الله، والتذكير بنعمته كذلك، فهو مادة الحياة الرئيسية للأحياء في الأرض جميعًا:

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ مِن السَّمَاءِ مَا أَ فَأَخْرَجَ بِهِ. مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَكُلَّ جَعَمَـ لُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمُ مَّعَلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَنُوَتِ وَٱلْأَرْضَ وَٱنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآهُ فَأَخْرَجَ بِهِ. مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمُّ ۖ وَسَخَّـرَ لَكُمْ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِيَّ وَسَخَّرَ لَكُمْ ٱلأَنْهُدُرُ ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

قال ابن عاشور رحمه الله: «واعلم أن كون الماء نازلًا من السماء هو أن تكونه يكون في طبقات الجو من آثار البخار الذي في الجو، فإن الجو ممتلئ دائمًا بالأبخرة الصاعدة إليه بواسطة حرارة الشمس من مياه البحار والأنهار ومن نداوة الأرض ومن النبات»(۱).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّآءِ فَأَخِيا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْيَهَا ﴾ [البقرة: ١٦٤].

أي: فأظهرت من أنواع الأقوات، وأصناف النبات، ما هو من ضرورات الخلائق، التي لا يعيشون بدونها(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيَّ أَنزَلُونَ ٱلسَّمَالَةِ مَلَهُ فَأَخْرَجْنَا بِدِهِ نَبَاتَ كُلِّي شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا لَخُرْجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاحِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْمِهَا قِنْوَانُّ دَانِيَةٌ وَجَنَّنتِ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّنْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهَا وَغَيْرَ مُتَشَيهٍ ﴾ [الأنعام: ٩٩].

أى: فأخرجنا بالماء الذي أنزلناه من السماء من غذاء الأنعام والبهائم والطير والوحش، وأرزاق بني آدم وأقواتهم ما یتغذون به ویأکلونه فینبتون علیه وینمون $(^{(r)})$. وقال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَقِهَ فَأَذِ لَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَلَّهُ فَأَسْقَتَنَكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ

أي: جعلنا ذلك المطر لسقياكم ولشرب مواشيكم وأرضكم، ونحن الخازنون لهذا الماء، ننزله إذا شئنا ونمسكه إذا شئنا(٤).

لَهُ بِخَدِرِنِينَ ﴾ [الحجر: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيَّ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَأَةُ لَكُمْ مِنْهُ شَرَاتٌ وَمِنْهُ شَجَرُ فِيهِ شِيمُونَ ﴾ [النحل: ١٠].

أي: لكم منه شرابٌ أي: جعله عذبًا زلالًا يسوغ لكم شرابه، ولم يجعله ملحًا أجاجًا، وأخرج لكم منه شجرًا ترعون فيه

- (٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٧٨.
 - (٣) جامع البيان، الطّبري ٩/ ٤٤٥.
- (٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٠/١٨.

⁽١) التحرير والتنوير ١/٣٣٣.

أنعامكم (١).

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ تَكُرُ أَنِ اللَّهُ أَنْزَلُ مِنَ اللَّهُ اللَّهُ أَنْزَلُ مِنَ اللَّهُ اللَّهُ مَاءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُغْضَكَرَّةً إِنَّ اللّهُ لَطِيفُ خَيدِرٌ ﴾ [الحج: ٦٣].

أي: خضراء بعد يباسها ومحولها.

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآمً مِقَدَدٍ فَأَسْكَنَّهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٨].

أي: جعلنا الماء إذا نزل من السحاب يخلد في الأرض، وجعلنا في الأرض قابلية له تشربه ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى (٢).

ثانيًا: الأرض:

قال تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآدَهَا وَمَرْعَنْهَا ﴾ [النازعات: ٣١].

عن الضحاك رحمه الله: «ماءها: ما فجر فيها من الأنهار» (٣). ونسب الماء والمرعى إلى الأرض؛ حيث هما يظهران فيها (٤)، «وقدم الماء على المرعى؛ لأنه سبب في وجود المرعى» (٥).

وقال الرازي رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَادَهَا وَمَرْعَنْهَا ﴾ فيه مسألتان: المسألة الأولى: ماؤها: عيونها المتفجرة

- (١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٤٨١.
 - (٢) المصدر السابق ٥/ ٤١٠.
 - (٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٤/ ٩٦.
 - (٤) المحرر الوجيز، ابن عطية ٥/ ٤٣٤.
 - (٥) البحر المحيط، أبو حيان ١٠/٠٠٤.

بالماء ومرعاها: رعيها، وهو في الأصل موضع الرعى.

فإن قيل: هلا أدخل حرف العطف على أخرج؟ قلنا: لوجهين:

الأول: أن يكون معنى دحاها بسطها ومهدها؛ للسكنى، ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تأتي سكناها من تسوية أمر المشارب والمآكل، وإمكان القرار عليها بإخراج الماء والمرعى وإرساء الجبال وإثباتها أوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها.

والثاني: أن يكون أخرج حالا، والتقدير: والأرض بعد ذلك دحاها حال ما أخرج منها ماءها ومرعاها.

المسألة الثانية: أراد بمرعاها ما يأكل الناس والأنعام، ونظيره قوله في النحل: ﴿ النَّا مَنْ السَّمَاءِ مَأَةً لَكُمْ مِنْنَهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْهُ اللَّهُ اللَّهُ مَنْهُ وَلَيْهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللللَّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللللّهُ ال

وقال في سورة أخرى: ﴿أَنَا مَسَبَنَا ٱلْمَاةَ مَسَّا ۞ ثُمَّ شَقَقَنَا ٱلأَرْضَ شَقًا ۞ فَأَلِثَنَا فِيهَا حَبَّا ۞ رَعِنَا وَقَضَهَا ۞ وَزَيْتُونَا وَقَالًا ۞ وَحَدَآبِنَ غَلَمُ ۞ وَعَنَا وَقَضَهُ وَآبًا ۞ مَنَيْعًا لَكُو وَلِأَنْعَلِيمُونَ عَلَمُ ۞ وَفَكِمَهُ وَآبًا ۞ مَنْتُعًا لَكُو وَلِأَنْعَلِيمُونَهُ [عسن: ٢٥-٣٣].

فكذا في هذه الآية واستعير الرعي للإنسان كما استعير الرتع في قوله: ﴿ يَرْتَعُ وَيُلْعَبُ ﴾ [يوسف: ١٢].

وقرئ: (نرتع) من الرعي، ثم قال ابن قتيبة قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَـامِنَ ٱلْمَاءَ كُلُّ شَيْءٍ

أوصاف الماء

لقد وصف القرآن الكريم الماء بعدة أوصاف، منها:

أولًا: الطهارة:

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي َ أَرْسَلَ الرَّيْنَ مَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّالَّ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُو

وقال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ ٱلسَّكَمَآ وَ مَآهُ لِيُطَهِّرَكُم بِهِهِ ﴾ [الأنفال: ١١].

أي: يطهر من الحدث والخبث ويطهر من الغش والأدناس (٤).

يقول ابن عاشور رحمه الله: «وماء المطر بالغُ منتهى الطهارة؛ إذ لم يختلط به شيءٌ يكدره أو يقذره وهو في علم الكيمياء أنقى المياه؛ لخلوه عن جميع الجراثيم، فهو الصافي حقًا. والمعنى: أن الماء النازل من السماء هو بالغ نهاية الطهارة في جنسه من المياه، ووصف الماء بالطهور يقتضي أنه مطهرٌ لغيره؛ إذ العدول عن صيغة فاعل الى صيغة فعول لزيادة معنى في الوصف، فاقتضاؤه في هذه الآية أنه مطهرٌ لغيره اقتضاءٌ التزاميُّ؛ ليكون مستكملًا وصف الطهارة القاصرة والمتعدية»(٥).

يقول عبد الدائم الكحيل: «الماء النازل

حَيٌّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وأما الملح فلا شك أنه متولد من الماء، وأنت إذا تأملت علمت أن جميع ما يتنزه به الناس في الدنيا ويتلذذون به، فأصله الماء والنبات» (١٠) والماء الذي يخرج من الأرض، هو من هذا الماء الملح، الذي سخرته القدرة الإلهية؛ ليكون بخارا، فمحابا، فمطرا، فماء عذبا تفيض به الأنهار، وتفجر منه العيون (١٠).

وقد دل بذكر الماء والمرعى على جميع ما تخرجه الأرض قوتا للناس وللحيوان حتى ما تعالج به الأطعمة من حطب للطبخ فإنه من النبت الأرض، وحتى الملح فإنه من الماء الذي على الأرض.

فالقدرة الإلهية تتصرف بحكمة عالية؛ لتحقيق مصالح ومنافع المخلوقات، والتي منها تيسير الحصول على الماء.

⁽٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٨٤٥.

⁽٥) التحرير والتنوير ١٩/ ٤٨.

⁽۱) مفاتيح الغيب، الرازي ٣١/ ٤٧.

⁽٢) التفسير القرآني للقرآن، الخطيب ١٦/ ١٤٤٢.

⁽٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٠/ ٨٧.

من السماء هو ماء مقطر يمتلك خصائص التعقيم والتطهير وليس له طعم! لذلك وصفه البيان الإلهي بكلمة (طهورًا)»(١).

ثانيًا: الغدق:

قال تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَدْمُوا عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَا مَا عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَا مَا مَا مَا مُنَادًا عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَا مَا مَا مَا مُنَادًا عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: «الغدق: الماء الطاهر الكثير»(٢)، وعن مجاهدٍ رحمه الله: «قال: لأعطيناهم مالًا كثيرًا»(٣).

والآية كناية عن التوسعة في الرزق؛ لأنه أصل المعاش.

ومن الحقائق التي تبرزها الآية: «الارتباط بين استقامة الأمم والجماعات على الطريقة الواحدة الواصلة إلى الله، وبين إغداق الرخاء وأسبابه، وأول أسبابه توافر الماء واغدوداقه، وما تزال الحياة تجري على خطوات الماء في كل بقعة، وما يزال الرخاء يتبع هذه الخطوات المباركة حتى هذا العصر الذي انتشرت فيه الصناعة، ولم تعد الزراعة هي المصدر الوحيد للرزق والرخاء، ولكن الماء هو الماء في أهميته العمرانية.

وهذا الارتباط بين الاستقامة على الطريقة وبين الرخاء والتمكين في الأرض

(٣) المصدر السابق ٢٣/ ٣٣٦.

حقيقة قائمة، وقد كان العرب في جوف الصحراء يعيشون في شظف، حتى استقاموا على الطريقة، ففتحت لهم الأرض التي يغدودق فيها الماء، وتتدفق فيها الأرزاق. ثم حادوا عن الطريقة فاستلبت منهم خيراتهم استلابا، وما يزالون في نكد وشظف، حتى يفيئوا إلى الطريقة، فيتحقق فيهم وعد الله (٤).

ثالثًا: العذب الفرات:

قال تعالى: ﴿ وَجَمَلْنَا فِيهَا رَوْسِيَ شَلِيخَلَتِ وَأَسَّقَيْنَكُمْ مَّاءً فُرَاتًا ﴾ [المرسلات: ٢٧].

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما:

تساهم الجبال العالية في تشكل البحيرات العذبة، فإن مياه الأمطار التي تسيل من الجبال تتجمع في الوديان، لتشكل أنهارًا وبحيرات، وتساعد الجبال أيضًا على تشكل الغيوم وهطول الأمطار، وتمر المياه

⁽١) موقع الدكتور عبدالدايم الكحيل.

⁽٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٣/ ٣٣٥.

⁽٤) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٣٤.

⁽٥) جامع البيان، الطبري ٢٣/ ٩٩٥.

النازلة من الجبال على العديد من الطبقات التي تساعد في تنقية المياه وتنظيفها.

رابعًا: الملح الأجاج:

قال تعالى: ﴿ وَهُو اللَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَلْدَا عَذَبٌ فُرَاتٌ وَهَلْدَا مِلْحُ أَجَاجٌ وَجَعَلَ يَنَهُمَا بَرْزَيْنَا وَحِجْرًا تَحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَلَا عَذَبُ فُرَاتُ سَآيِةٌ شَرَابُهُ, وَهَلَا مِلْحُ أَجَاجٌ فَين عَذَبُ فُرَاتُ سَآيَةٌ شَرَابُهُ, وَهَلَا مِلْحُ أَجَاجٌ فَين كُلِّ تَأْكُمُ تَشَكُونَ لَحْمًا طَرِيتًا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْنَغُواْ مِن فَضَلِهِ، وَلَمَلَكُمُ تَشَكُرُونَ ﴾ [فاطر: ١٢].

عن قتادة رحمه الله: الأجاج: المر (۱). قال ابن كثير رحمه الله: «أي: مالحٌ مرٌ زعاقٌ لا يستساغ، وذلك كالبحار المعروفة في المشارق والمغارب: البحر المحيط وما يتصل به من الزقاق، وبحر القلزم، وبحر اليمن، وبحر البصرة، وبحر فارس، وبحر الصين والهند، وبحر الروم، وبحر الخزر، وما شاكلها وما شابهها من البحار الساكنة التي لا تجري، ولكن تموج وتضطرب وتلتطم في زمن الشتاء وشدة الرياح، ومنها ما فيه مدٌ وجزرٌ، ففي أول كل شهر يحصل منها مدٌ وفيضٌ، فإذا شرع الشهر في النقصان منها مدٌ وفيضٌ، فإذا شرع الشهر في النقصان جزرت حتى ترجع إلى غايتها الأولى، فإذا استهل الهلال من الشهر الآخر شرعت في

المد إلى الليلة الرابعة عشرة، ثم تشرع في النقص، فأجرى الله -سبحانه وتعالى، وهو ذو القدرة التامة - العادة بذلك، فكل هذه البحار الساكنة، خلقها الله سبحانه وتعالى مالحة؛ لئلا يحصل بسببها نتن الهواء، فيفسد الوجود بذلك، ولئلا تجوى الأرض بما يموت فيها من الحيوان، ولما كان ماؤها مالحا، كان هواؤها صحيحًا وميتتها طيبةً»(٢).

والبرزخ: الحائل بين شيئين. والمراد بالبرزخ تشبيه ما في تركيب الماء الملح مما يدفع تخلل الماء العذب فيه بحيث لا يختلط أحدهما بالآخر ويبقى كلاهما حافظًا لطعمه عند المصب (٣).

يقول العلماء: ما عرف الإنسان أن البحار المالحة بحار مختلفة إلا في الثلاثينات من هذا القرن، بعد أن أقام الدارسون آلاف المحطات البحرية؛ لتحليل عينات من مياه البحار، وقاسوا في كل منها الفروق في درجات الحرارة، ونسبة الملوحة، ومقدار الكثافة، ومقدار ذوبان الأوكسجين في مياه البحار في كل المحطات فأدركوا بعدئذ أن البحار المالحة متنوعة.

وما عرف الإنسان البرزخ الذي يفصل بين البحار المالحة، إلا بعد أن أقام محطات

⁽٢) تفسير القرآن العظيم ٦/ ١٠٦.

⁽٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٩/٥٤.

⁽١) المصدر السابق ١٩/ ٣٤٥.

الدراسة البحرية المشار إليها، وبعد أن قضى وقتًا طويلًا في تتبع وجود هذه البرازخ المتعرجة المتحركة، والتي تتغير في موقعها الجغرافي بتغير فصول العام.

وما عرف الإنسان أن مائي البحرين منفصلان عن بعضهما بالحاجز المائي، ومختلطان في نفس الوقت إلا بعد أن عكف يدرس بأجهزته وسفنه حركة المياه في مناطق الالتقاء بين البحار، وقام بتحليل تلك الكتل المائية في تلك المناطق.

وما قرر الإنسان هذه القاعدة على كل البحار التي تلتقي إلا بعد استقصاء ومسح علمي واسع لهذه الظاهرة التي تحدث بين كل بحرين في كل بحار الأرض.

تلك المحطات البحرية، وأجهزة تحليل كتل المياه، والقدرة على تتبع حركة الكتل المائية المتنوعة (١).

خامسًا: الثجاج:

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْمِرَتِ مَلَهُ مَا اللهُ عُمِرَتِ مَلَهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهِ اللهُ ال

والثجاج: المنصب بقوة. ووصف الماء هنا بالثجاج؛ للامتنان (٢).

سادسًا: المعين:

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَمَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاۤ وُكُوعَوْرًا فَنَ يَأْتِيكُم بِمَلَومَعِينِ ﴾ [الملك: ٣٠].

ومعنى معين: جارٍ من العيون (").
والاستفهام في قوله: ﴿فَنَ يَأْتِكُم بِمَلَوِ﴾:
استفهام إنكاري، أي: لا يأتيكم أحد بماء
معين، أي: غير الله وأكتفي عن ذكره؛
لظهوره من سياق الكلام ومن قوله قبله:
﴿أَمَّنْ هَذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَكُو يَنصُرُكُم مِن دُونِ

سابعًا: المبارك:

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآ مِ مَآ مُ مُّبَدَرًا ﴾ [ق: ٩].

أي: كثير البركة (٥).

والبركة: الخير النافع لما يتسبب عليه من إنبات الحبوب والأعناب والنخيل (٦٠).

وهذه الصفات من باب امتنان الله على عباده؛ ليعظموه، ويشكروه.

⁽٣) معانى القرآن وإعرابه، الزجاج ٢٠١/٥.

⁽٤) التحرير والتنوير ٢٩/٥٦.

⁽٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٧/٦.

⁽٦) التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٩٢.

الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبد الله المصلح، ص ٢٤٤ – ٢٤٥.

⁽۲) التحرير والتنوير، ابن عاشور ۳۰/۲۲.

فوائد الماء

للماء فوائد كثيرة منها:

أولًا: الإرواء:

يمتن سبحانه وتعالى على عباده بأن جعل لهم الماء صالحًا يفي بحاجتهم، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى آَنزَلَ مِن ٱلسَّمَاءِ مَآّةً لَكُمُ مِن ٱلسَّمَاءِ مَآّةً لَكُمُ مِن ٱلسَّمَاءِ مَآّةً لَكُمُ مِن السَّمَاءِ مَآةً لَكُمُ مِن السَّمَاءِ مَآةً لَكُمُ مِن السَّمَاءِ مَآةً لَكُمُ مِن السَّمَاءِ مَآةً الله مُن السَّمَاءِ مَا النحل: ١٠].

أي: أنزل مطرًا لكم من ذلك الماء شرابٌ تشربونه، ومنه شراب أشجاركم وحياة غروسكم ونباتها(١).

وقال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيْكَ لَوَقِحَ فَأَنزَلْنَامِنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَهُ فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ وَمَا آنسُمْ لَهُوبِخَنزِنِينَ ﴾ [الحجر: ٢٢].

أي: جعلنا ذلك المطر لسقياكم ولشرب مواشيكم وأرضكم. ومن البلاغة: قيل: إن أسقيناكموه أبلغ من سقيناكموه لأن سقيته الماء إذا أعطيته قدر ما يروي، وأسقيته نهرًا، أي: جعلته شربًا له، وقيل: سقى وأسقى بمعنى واحد (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَسِيَ شَلْمِخُلْتِ وَأَسَّعَ مَنْكُم مَّلَهُ فُرَاتًا ﴾ [المرسلات: ٢٧].

ثانيًا: إنبات الزرع:

أخبر تعالى أن من نعمه على خلقه، إنزال المطر؛ لإخراج النبات المتعدد الأشكال والألوان والطعوم والروائح والمنافع الصالحة للإنسان وللحيوان، فقال تعالى: ﴿ اللَّهُ مَهَدًا وَسَلَكَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهَدًا وَسَلَكَ لَكُمُ فَيَا شُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِءَ أَزْوَجًا فِيَا شُبُلًا وَأَنزَلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِءَ أَزُوبَكا فِيَا شُبُلًا وَأَنزَلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِءَ أَزُوبَكا مِن فَيَا سُبُلًا وَأَنزَلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِءَ أَزُوبَكا مِن أَلْتِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّا وَاللَّهُ وَاللَّوانَ وَالمَنافَعُ (ءً).

وقال تعالى: ﴿ وَهُو الَّذِيّ أَنزَلَ مِنَ السَّمَلَهِ مَا أَهُ فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُحْنِيجُ مِنْهُ حَبَّا مُمْرَاكِبًا وَمِنَ النّخْلِ مِن طَلْمِهَا قِنْوَانٌ دَانِيةٌ وَجَنَّنتِ مِنْ أَعْنَابِ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهَا وَغَيْرَ مُتَشَيْهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِقِهُ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَاينتِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْمِرُتِ مَا هَ فَهَا مِنَا الْمُعْمِرُتِ مَا هَ فَهَا مَا اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الله

من العبادات التي يستخدم فيها المسلم الماء:

أولًا: الوضوء:

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا

⁽٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٠٩/١١.

⁽٤) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٣٩.

⁽۱) جامع البيان، الطبري ١٨١/١٤.

⁽٢) فتح القدير ٣/ ١٥٣.

إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَاةِ فَأَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَآيَدِيكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَأَمْسَحُوا بِرُهُ وسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنُ وَإِن كُنتُمْ جُنبُا فَأَطَّلَهُ رُوأً وَإِن كُنتُم مَّرْضَيّ أَوْ عَلَى سَفَر أَوْ جَآة أَحَدُ مِنكُم مِنَ ٱلْفَآيِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ ٱلنِّسَآةِ فَلَمْ تَجِدُوا مَانَهُ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَلِيَّبًا فَأَمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم يِّنَّةُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَكُ عَلَيْكُم مِنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ إِيْطَهِّرَكُمْ وَإِيدَتِمَ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشَكُّرُونَ ﴾ [المائدة: ٦].

يري صاحب المنار رحمه الله: «أن وجه المناسبة بين آية الوضوء وما قبلها هو أن الحدثيين اللذين هما سبب الطهارتين هما أثر الطعام والنكاح، ولولا الطعام لما كان

قال أبو حيان رحمه الله: «وظاهر الآية قيل: إن كنتم محدثين الحدث الأصغر فاغسلوا هذه الأعضاء وامسحوا هذين العضوين، وإن كنتم محدثين الحدث الأكبر فاغسلوا جميع الجسم»(^{۲)}.

- وجه المناسبة بين آية الوضوء و ما قبلها:
- الغائط الموجب للوضوء، ولولا النكاح لما كانت ملامسة النساء الموجبة للغسل»(١). يدل على أن الوضوء واجب على كل من قام إلى الصلاة، متطهرًا كان أو محدثًا، وكأنه
- قال الشيخ السعدي رحمه الله: «هذه آية

عظيمة قد اشتملت على أحكام كثيرة، نذكر منها ما يسره الله وسهله:

- 🥮 اشتراط الطهارة لصحة الصلاة؛ لأن الله أمر بها عند القيام إليها، والأصل في الأمر الوجوب.
- 🥮 أن الطهارة لا تجب بدخول الوقت، وإنما تجب عند إرادة الصلاة.
- 🟶 أن كل ما يطلق عليه اسم الصلاة، من الفرض والنفل، وفرض الكفاية، وصلاة الجنازة، تشترط له الطهارة، حتى السجود المجرد عند كثير من العلماء، كسجو د التلاوة والشكر.
- 🯶 الأمر بغسل الوجه، وهو: ما تحصل به المواجهة من منابت شعر الرأس المعتاد، إلى ما انحدر من اللحيين والذقن طولا. ومن الأذن إلى الأذن عرضا، ويدخل فيه المضمضة والاستنشاق، بالسنة، ويدخل فيه الشعور التي فيه. إيصال الماء إلى البشرة، وإن كانت كثيفة اكتفى بظاهرها.
- 🥮 الأمر بغسل اليدين، وأن حدهما إلى المرفقين و «إلى» كما قال جمهور المفسرين بمعنى «مع »؛ ولأن الواجب لا يتم إلا بغسل جميع المرفق.
- 🥮 الأمر بمسح الرأس، وأنه يجب مسح جميعه؛ لأن الباء ليست للتبعيض،

⁽Y) البحر المحيط ٣/ ٤٤٩.



⁽۱) تفسير المنار، محمد رشيد رضا ٦/ ٢٢٠.

- وإنما هي للملاصقة، وأنه يعم المسح بجميع الرأس.
- أنه يكفي المسح كيفما كان، بيديه أو إحداهما، أو خرقة أو خشبة أو نحوهما؛ لأن الله أطلق المسح ولم يقيده بصفة، فدل ذلك على إطلاقه.
- أن الواجب المسح. فلو غسل رأسه ولم يمريده عليه لم يكف؛ لأنه لم يأت بما أمر الله به.
- الأمر بغسل الرجلين إلى الكعبين، ويقال فيهما ما يقال في اليدين.
- الأمر بالترتيب في الوضوء؛ لأن الله تعالى ذكرها مرتبة؛ ولأنه أدخل ممسوحا وهو الرأس بين مغسولين، ولا يعلم لذلك فائدة غير الترتيب.
- أن الترتيب مخصوص بالأعضاء الأربعة المسميات في هذه الآية، وأما الترتيب بين المضمضة والاستنشاق والوجه، أو بين اليمنى واليسرى من اليدين والرجلين، فإن ذلك غير واجب، بل يستحب تقديم المضمضة والاستنشاق على غسل الوجه، وتقديم اليمنى على اليسرى من اليدين والرجلين، وتقديم المسح الرأس على مسح الأذنين.
- الأمر بتجديد الوضوء عند كل صلاة؛
 لتوجد صورة المأمور به.
 - 🟶 الأمر بالغسل من الجنابة.

- أنه يجب تعميم الغسل للبدن؛ لأن الله
 أضاف التطهر للبدن، ولم يخصصه
 بشيء دون شيء.
- الأمر بغسل ظاهر الشعر وباطنه في الجنابة.
- أنه يندرج الحدث الأصغر في الحدث الأكبر، ويكفي من هما عليه أن ينوي، ثم يعمم بدنه؛ لأن الله لم يذكر إلا التطهر، ولم يذكر أنه يعيد الوضوء.
- أن الجنب يصدق على من أنزل المني
 يقظة أو مناما، أو جامع ولو لم ينزل.
- أن من ذكر أنه احتلم ولم يجد بللا
 فإنه لا غسل عليه؛ لأنه لم تتحقق منه
 الجنابة.
- أن مع وجود الماء ولو في الصلاة، يبطل التيمم؛ لأن الله إنما أباحه مع عدم الماء(١١).

ثانيًا: الغسل:

قال تعالى: ﴿وَلَاجُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾ [النساء: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم جُنُبًا فَأَطَّهَرُواً ﴾ [المائدة: ٢].

من منطوق هاتين الآيتين الكريمتين أخذ الفقهاء مشروعية وجوب الغسل للجنب.

⁽۱) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٢٢٢.

رابعًا: النظافة:

قال تعالى: ﴿وَثِيَابِكَ فَطَعِتِ﴾ [المدثر: ٤]. قال السعدي رحمه الله: «يحتمل أن المراد بثيابه، أعماله كلها، وبتطهيرها تخليصها والنصح بها، وإيقاعها على أكمل الوجوه، وتنقيتها عن المبطلات والمفسدات، والمنقصات من شر ورياء، ونفاق، وعجب، وتكبر، وغفلة، وغير ذلك، مما يؤمر العبد باجتنابه في عباداته. ويدخل في ذلك تطهير الثياب من النجاسة، فإن ذلك من تمام التطهير للأعمال خصوصا في الصلاة، قال كثير من العلماء: إن إزالة لنجاسة عنها شرط من شروط الصلاة.

ويحتمل أن المراد بثيابه، الثياب المعروفة، وأنه مأمور بتطهيرها عن جميع النجاسات، في جميع الأوقات، خصوصا في الدخول في الصلوات، وإذا كان مأمورا بتطهير الظاهر، فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن»(١).

الإنعام والانتقام

خلق سبحانه وتعالى الماء نعمة لحياة الكائنات الحية، فكان شرابًا لهم وكان سببًا في إنبات الزرع، وجعله سبحانه في الدنيا إنعامًا على أقوام، وإهلاكًا لآخرين، وجعله في الآخرة عذابًا لأهل النار، ونعيمًا لأهل الجنة.

أولًا: الماء نعيم في الدنيا:

الماء عصب الحياة ونعيمها، فبدونه لا حياة على كوكب الأرض، فهو وسيلة لطهارة المسلم، وجعل الله كل الكائنات محتاجةً إليه؛ لشربها وسقيها، فأنبت الله بها الجنات، والحب والنوى.

قال تعالى: ﴿ وَهُو اللَّذِي آَنَشَا جَنَّنَتِ مَّمَّرُوشَنَتِ وَغَيْرُ مَمَّرُوشَنَتِ وَالنَّخْلَ وَالزَّيْعَ مُغَنَلِقًا أُكُلُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَكِبُهَا وَغَيْرَمُتَشَكِبِمٍ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

والماء علاج لكثير من الأمراض، الجلدية والمسالك البولية والمعدة والأمعاء والقولون والعضلات من خلال الشرب والاغتسال بالساخن منه أو البارد.

قال تعالى: ﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدُنَا أَيُّوْبَ إِذْ نَادَىٰ رَبِّهُ وَأَذْكُرْ عَبْدُنَا أَيُّوْبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ وَيَقَدُ أَنِي مَسَّنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَنَابٍ ﴿ اللَّ الرَّكُفُ لِيَجْلِكُ هَلَنَا مُغْتَسَلُّ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص: ٤١-٤٤]. بيمبل أي الضرب الأرض بها؛ لينبع لك منها أي: اضرب الأرض بها؛ لينبع لك منها

عين تغتسل منها وتشرب، فيذهب عنك

(١) المصدر السابق ص ٨٩٥.



الضر والأذى، ففعل ذلك، فذهب عنه الضر، وشفاه الله تعالى (١١).

وسخر الله ماء البحر؛ لنأكل مما نصطاد من سمكه لحمًا طريًا، ونستخرج منه زينة نلبسها كاللؤلؤ والمرجان، وتتحرك فيه السفن العظيمة تشق وجه الماء تذهب وتجيء، وتركب؛ لطلب رزق الله بالتجارة والربح فيها.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهِ سَخْمَ الْبَحْمَ الْبَحْمَ الْبَحْمَ الْبَحْمَ الْمَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

وقد تجمعت حضارات البشرية جميعها [نوح: ٢٦-٢٧]. حول الماء.

ثانيًا: الماء جزاء وعقاب في الدنيا:

عاقب الله بالماء أقوامًا لم يؤمنوا به، ولم يخضعوا رقابهم لجلاله، منهم:

١. قوم نوح.

دعا نوح قومه لعبادة الله، قال تعالى على لسان نبيه: ﴿ يُقَوِّمِ إِنِي لَكُوْ نَذِيرٌ مُبِينُ اللهِ أَنِ المَّدُواُ اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ [نوح: ٢-٣].

فأعرضوا عن دعوته، وآذوه ومن معه من المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ فَرْمَى لَيْلًا وَنَهَالًا

فَلَمْ بَزِدْهُوْ دُعَلَوْ يَ إِلَّا فِرَارًا اللّهِ وَإِنّ كُلّما دُعَوْتُهُمْ إِنّ كُلّما دُعَوْتُهُمْ التّغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُواْ أَصَابِعَهُمْ فِي عَاذَانِهِمْ وَأَصَرُّواْ وَأَسْتَكْبُرُواْ السّتِكْبُرُواْ السّتِكْبُرُواْ السّتِكْبُرُواْ السّتِكْبُرُواْ السّتِكْبُرُواْ السّتِكْبُرُواْ السّتِكْبُرُواْ السّتِكْبُرُواْ وَأَسْتَكْبُرُواْ وَيَعْمُ إِنّهُ وَأَصْرَرَتُ لَمْمُ إِنّهُ مَا مَارَازًا اللهِ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُواْ رَبّكُمْ إِنّهُ كَانَ عَفْلُتُ اسْتَغْفِرُواْ رَبّكُمْ إِنّهُ كَانَ عَفْلُوا السّمَاة عَلَيْكُمْ يِعْدُوالُوا اللهُ وَيُعْمَلُ لَكُونَ اللّهُ وَقَادًا اللّهُ وَعَنْدُوا اللّهُ السّمَاة عَلَيْكُمْ يِعْدُوالُوا اللهُ وَيُعْمَلُ لَكُونُ عَلَيْكُمْ وَيَعْمَلُ لَكُونَ اللّهُ وَقَادًا اللّهُ اللّهُ وَعَلَيْكُمْ اللّهُ وَيُعْمَلُ لَكُونَ اللّهُ وَقَادًا اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَقَادًا اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَقَادًا اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ

ولما أعرضوا عن دعوته دعا عليهم بعد إعلام الله له أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لاَنَدَرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ ٱلكَفِينَ دَيّارًا ﴿ وَقَالَ نُوحٌ إِنّ لَا نَدَرُهُمُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ ٱلكَفِينَ دَيّارًا ﴿ وَقَالَ نَاحِرًا كَفَارًا ﴾ يُضِلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلّا فَاجِرًا كَفَارًا ﴾

فاستجاب له ربه فأخذهم الطوفان.

قال تعالى: ﴿ فَفَنَحْنَا أَبْوَبُ السَّمَاةِ مِمَاوَ مُنْهَمِرِ السَّمَاةِ مِمَاوَ مُنْهَمِرِ اللهِ وَفَرِّنَا وَالْنَعَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرِ فَدَّ فَيُدرَ ﴾ [القمر: ١١-١٢].

أي: فالتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قدره الله وقضاه (٢). عقوبة لهؤلاء الظالمين الطاغين.

۲. فرعون وقومه.

أرسل الله سبحانه وتعالى موسى وهارون إلى دعوة فرعون وقومه فأعرضوا، وادعى فرعون الألوهية.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْثُ يَتَأَيُّهُمَا ٱلْمَكُلُّ

⁽۲) جامع البيان، الطبري ۲۲/ ۱۲۲.

⁽١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص١٤٠.

مَا عَلِمْتُ لَحَمُ مِّنَ إِلَكِهِ غَيْرِ فَأَوْقِدْ لِى يَكْمِنُ كَلَّ لَكُمْ عَنْ الْكَلِي عَيْرِ فَأَوْقِدْ لِى يَنْهَدُنُ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَكُ لِي صَرْحًا لِّمَا لِيَ عَرْحًا لِمُكَلِّ الْطُلِعُ إِلَيْهِ اللّهِ مُوسَول وَإِلَيْ لَأَظُنُّهُ مِن اللّهُ اللّهُ

وادعى الربوبية فقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعَلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

فكان هو وقومه من المغرقين.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرْبَهَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿ قَالَكُلْدٌ إِنَّ مَعِي رَبِي سَيَهْدِينِ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿ قَالَكُلْدٌ إِنَّ مَعِي رَبِي سَيَهْدِينِ فَا فَالْحَدْ اللَّهُ وَمَنَ عَمَاكُ ٱلْبَحْرُ فَالْفَوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿ قَالَكُ ٱلْبَحْرُ فَا فَالْفَاقُودِ ٱلْعَظِيمِ ﴿ قَالَ اللَّهُ وَأَزْلَفْنَا فَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَمَن مَّعَهُ وَأَجْعِينَ فَا اللَّهُ عَلَيْ فَا اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللّلَهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْكُولُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُونَ اللَّهُ عَلَيْكُولُ اللَّهُ عَلَيْكُولُ اللَّهُ عَلَيْكُولُ اللَّهُ عَلَا عَلَا عَلَا اللّهُ عَلَا عَلَا عَلَا اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلَا عَلَا اللّهُ عَلَا عَلَا اللّهُ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا اللّهُ عَلَا عَلَا اللّهُ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَالْعَلَا اللّهُ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا اللّهُ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلَا عَلَ

فانتقم الله منهم بعاجل العذاب، «وأغرق فرعون وجنوده فلم يبق منهم رجل إلا هلك»(۱).

٣. سيأ.

أنعم الله على سبأ بنعم كثيرة، وحثهم على شكره عليها، لكنهم أعرضوا، فأرسل الله عليهم سيل العرم.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَا فِ مَسْكَنِهِمْ اَيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينِ وَشِمَالٌ كُلُوا مِن رِّذْقِ رَيْكُمْ وَاَشْكُرُوا لَفُهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورُ ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَيَدَّلَنْهُم يَجَنَّيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أَكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلِ وَشَيْءِ مِن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿ اللَّهُ ذَلِكَ جَزَيْنَهُم بِمَا كَفَرُواً

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٣١.

وَهَلْ بُحْزِي إِلَّا ٱلْكُفُورَ ﴾ [سبأ: ١٥-١٧].

قال السعدي رحمه الله: «كان لهم واد عظيم، تأتيه سيول كثيرة، وكانوا بنوا سدا محكما، يكون مجمعا للماء، فكانت السيول تأتيه، فيجتمع هناك ماء عظيم، فيفرقونه على بساتينهم، التي عن يمين ذلك الوادي وشماله. وتغل لهم تلك الجنتان العظيمتان، من الثمار ما يكفيهم، ويحصل لهم به الغبطة والسرور، فأمرهم الله بشكر نعمه التي أدرها عليهم من وجوه كثيرة، منها:

هاتان الجنتان اللتان غالب أقواتهم نهما.

- أن الله جعل بلدهم، بلدة طيبة، لحسن هوائها، وقلة وخمها، وحصول الرزق الرغد فيها.
- أن الله تعالى وعدهم -إن شكروه- أن
 يغفر لهم ويرحمهم.
- أن الله لما علم احتياجهم في تجارتهم ومكاسبهم إلى الأرض المباركة، هيأ لهم من الأسباب ما به يتيسر وصولهم إليها، بغاية السهولة، من الأمن، وعدم الخوف، وتواصل القرى بينهم وبينها، بحيث لا يكون عليهم مشقة، بحمل الزاد والمزاد، ولهذا قال: ﴿وَحَعَلْنَا لِيَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَكْرَكَنَا فِهَا السَّيْرُ فَيَ الْسَيْرُ فَيَا السَّيْرُ فَيَا اللهِ فَيْرَانَا فِيهَا السَّيْرُ فَيَا السَّيْرُ فَيَا السَّيْرُ فَيَا السَّيْرُ فَيَا السَّيْرُ فَيَا السَّيْرُ فَيَا السَّيْرُ فَيْرَانَا فِيهِ فَيْرَانَا فِيهِ فَيْرَانَا فِيهَا السَّيْرُ فَيَالِيْرُ فَيْرَانَا فِيهَا السَّيْرُ فَيْرَانَا فِيهَا السَّيْرُ فَيْرَانَا فِيهَا السَّيْرُ فَيْرَانَا فِيهَا السَّيْرُ فَيْرَانَا فَيْرَانَا فِيهَا السَّيْرِ فَيْرَانَا فِيهَا السَّيْرِ فَيْرَانَا فَيْرَانَا فِيهَا السَّيْرِ فَيْرَانَا فِيهَا السَّيْرِ فَيْرَانَا فِيهَا السَّيْرَانِا فِيْرَانَا فِيهَا السَّيْرَانِا فَيْرَانَا فَيْرَانَا فِيهَا السَّيْرِ فَيْرَانِا فِي فَالِنَا فَيْرَانَا فَيْنَا اللهِ فَيْرَانِا فَيْرَانِا فِي فَيْرَانَا فِي فَيْرَانِا فَيْرَانِا فِي فَيْرَانِا فِي فَيْرَانِا فِي فَيْرَانِا فِي فَيْرَانِا فِي فَيْرَانِا فِي فَيْنَا فَيْرَانِا فِي فَيْرِانِا فِي فَيْرِنِا فَيْرَانِا فِي فَيْرَانِا فِي فَيْرَانِا فِيْ

بحيث لا يتيهون عنه ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا مَامِنِينَ ﴾ أي: مطمئنين في السير، في تلك الليالي والأيام، غير خائفين. وهذا من تمام نعمة الله عليهم أن أمنهم من الخوف.

فأعرضوا عن المنعم، وعن عبادته، وبطروا النعمة، وملوها، حتى إنهم طلبوا وتمنوا، أن تتباعد أسفارهم بين تلك القرى، التي كان السير فيها متيسرا. فأرسل عليها السيل المتوعر، الذي خرب سدهم، وأتلف جناتهم، وخرب بساتينهم، فتبدلت تلك الجنات ذات الحدائق المعجبة، والأشجار المثمرة، وصار بدلها أشجار لا نفع فيها، ولهذا قال: ﴿وَيَدَّلْنَهُم بِمِنْتَيْم جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى العمام موقعا ﴿مَمْطِ وَأَثْلِ وَشَيْءٍ مِن سِدْرٍ يقع منهم موقعا ﴿مَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِن سِدْرٍ يقع منهم موقعا ﴿مَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِن سِدْرٍ عَمْس عملهم»(١).

ثالثًا: الماء نعيم في الآخرة:

قرن سبحانه وتعالى بين الجنات والعيون والأنهار في مواضع من كتابه:

قال تعالى: ﴿عَيْنَايَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَمْجِيرُ﴾[الإنسان: ٦].

أي: عين يشرب منها عباد الله، يتصرفون فيها، ويجرونها حيث شاءوا.

وقال تعالى: ﴿ مَّنَالُ الْمَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُنَّقِّ الَّتِي وُعِدَ الْمُنَّقُونَ فِيهَا الْمَهَرِّ مِن مِّلَةٍ فَيْرِ عَاسِنٍ ﴾ [محمد: ١٥].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «آسن: غير متغير»، وعن قتادة رحمه الله: من ماءِ غير منتن (۲).

وقال تعالى: ﴿ فِيهِمَاعَيْنَانِ تَجْرِيانِ ﴾ [الرحمن: ٥].

وقال تعالى: ﴿ فِيهِ مَاعَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ [الرحمن: ٢٦].

أي: فوارتان بالماء(٣)، لا تنقطعان.

وقال تعالى في وصف الماء في الجنة: ﴿ وَمَآوِمَتُ مُسْكُوبٍ ﴾ [الواقعة: ٣١].

قال الثوري رحمه الله: يجري في غير أخدود (٤).

وقال تعالى: ﴿وَسَفَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

ومن طهره أنه لا يصير بولًا نجسًا، ولكنه يصير رشحًا من أبدانهم كرشح المسك (٥)، وأسند سقيه إلى ربهم؛ إظهارًا لكرامتهم (١٠). ومن عيون الماء في الجنة: سلسبيل. قال تعالى: ﴿عَيْنَا فِيهَا شُمَّنَ سَلْسَبِيلُ﴾ قال تعالى: ﴿عَيْنَا فِيهَا شُمَّنَى سَلْسَبِيلُ﴾ [الإنسان: ١٨].

⁽١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٦٧٧.

⁽۲) جامع البيان، الطبري ۲۱/ ۲۰۰.

⁽٣) الجامع الأحكام القرآن، القرطبي ١٨٥/١٧.

⁽٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/٨.

⁽٥) جامع البيان، الطبري ٢٣/ ٥٦٩.

⁽٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٩/ ٤٠٠.

قال قتادة رحمه الله: هي عينٌ تنبع من تحت العرش من جنة عدن إلى الجنان، وقال عكرمة رحمه الله: عينٌ سلسٌ ماؤها. وقال مجاهد رحمه الله: عين جديرة الجرية سلسلةٌ سهلة المساغ، وقال مقاتلٌ: عينٌ يتسلسل عليهم ماؤها في مجالسهم كيف

رابعًا: الماء عقاب في الآخرة:

لعقاب أهل النار ماء وصفه الله سبحانه وتعالى بعدة صفات منها:

١. الحميم.

قال تعالى: ﴿لَهُمَّ شَرَابٌ مِنْ حَبِيمٍ ﴾ [الأنعام: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ [النبأ: .[40

مكديد ﴾ [إبراهيم: ١٦].

كَٱلْمُهُلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوةُ بِثْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ وَشُقُوا مَا ٓ جَمِيمًا فَقَطَّمَ أَمْمَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥].

أي: حارا شديد الغليان، إذا دنا منهم شوى وجوههم، ووقعت فروة رءوسهم، فإذا شربوه قطع أمعاءهم وأخرجها من دبورهم^(۲).

٢. الغساق.

قال تعالى: ﴿ هَلْذَافَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ [ص: ٥٧].

الغساق: سائلٌ يسيل في جهنم (٣).

قال تعالى: ﴿ مِّن وَرَآبِهِ عِجَهَنَّمُ وَرُسْعَىٰ مِن مَّآءِ

عن مجاهد رحمه الله قال: «قيحٌ ودمٌ»

قال تعالى: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ

أي: كالرصاص المذاب، أو كعكر

ولما شرب أهل النار الماء بصفاته

قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَبُ ٱلنَّارِ أَصْحَبَ

يخبر تعالى عن ذلة أهل النار وسؤالهم

أهل الجنة من شرابهم وطعامهم وأنهم لا

ٱلْجُنَّةِ أَنَّ أَفِيضُوا عَلَيْ نَامِنَ ٱلْمَآءِ أَوَّ مِمَّا رَزَفَكُمُ

اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكُنفرينَ ﴾

السابقة طلبوا من أهل الجنة أن يفيضوا

عليهم من الماء الذي أنعم الله به عليهم.

الزيت، من شدة حرارته (٢٠).

(٤)، واشتقاقه من الصد؛ لأنه يصد الناظرين

٣. الصديد.

عن رؤيته (٥).

٤. المهل.

[الأعراف: ٥٠].

يجابون إلى ذلك(٧).

⁽٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٣٧/١٦.



⁽٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٣/ ٢٨٦.

⁽٤) جامع البيان، الطبري ١٣/ ٦١٩.

⁽٥) تفسير فتح القدير، الشوكاني ٣/ ١٢٠.

⁽٦) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٤٧٥.

⁽V) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٣٨٠.

⁽١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان ١٠/ ٣٦٥.

الماء في المثل القرآني

تحدث القرآن الكريم عن الماء كمثل يقرب به المعاني لعباده، وسوف نتناول ذلك بالبيان فيما يأتي:

أولًا: الدنيا ونضارتها:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنَا كَمْآهِ أَنزَلْنَهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَأَخْلَطُ بِدِ. نَبَاتُ ٱلأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْفَئَدُ حَتَى إِذَا آلْغَذَتِ ٱلأَرْضُ رُغَوْفَهَا وَازَّيْنَتْ وَظَلَ ٱلْمَلُهَا أَنْهُمْ قَلْدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَنْهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَازًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَمْ تَغْنَ إِلْأَمْسُ كُنْلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَئِةِ لِقَوْمِ يَنْفَكَ رُونَ ﴾ [يونس: ٢٤].

لماكان سبب ما ذكر من البغي في الأرض وإفساد العمران، هو الإفراط في حب التمتع بما في الدنيا من الزينة واللذات، ضرب لها مثلًا بليغًا يصرف العاقل عن الغرور بها، مثلًا بليغًا يصرف العاقل عن الغرور بها، ويهديه إلى القصد والاعتدال فيها، واجتناب التوسل إليها بالبغي والظلم، وحب العلو والفساد في الأرض، وهو عبارةٌ عن تشبيه زينتها ونعيمها في افتتان الناس بهما وسرعة زوالهما بعد تمكنهم من الاستمتاع بها، بحال الأرض يسوق الله إليها المطر فتنبت بنواع النبات الذي يسر الناظرين ببهجته، فلا يلبث أن تنزل به جائحةٌ تحسه وتستأصله يبل بدو صلاحه والانتفاع بها،

قال ابن القيم رحمه الله: «شبه سبحانه الحياة الدنيا في أنها تتزين في عين الناظر فتروقه بزينتها وتعجبه فيميل إليها ويهواها اغترارًا منه بها، حتى إذا ظن أنه مالكٌ لها قادرٌ عليها سلبها بغتة أحوج ما كان إليها، وحيل بينه وبينها، فشبهها بالأرض التي ينزل الغيث عليها فتعشب ويحسن نباتها ويروق منظرها للناظر، فيغتر به، ويظن أنه قادرٌ عليها، مالكٌ لها، فيأتيها أمر الله فتدرك نباتها الآفة بغتة، فتصبح كأن لم تكن قبل، فيخيب ظنه، وتصبح يداه صفرًا منها، فكذا فيخيب ظنه، وتصبح يداه صفرًا منها، فكذا حال الدنيا والواثق بها سواءٌ؛ وهذا من أبلغ التشبيه والقياس» (٢).

وقال سيد قطب رحمه الله: «ذلك مثل الحياة الدنيا التي لا يملك الناس إلا متاعها، حين يرضون بها، ويقفون عندها، ولا يتطلعون منها إلى ما هو أكرم وأبقى. هذا هو الماء ينزل من السماء، وهذا هو النبات يمتصه ويختلط به فيمرع ويزدهر، وها هي ذي الأرض كأنها عروس مجلوة تتزين لعرس وتتبرج، وأهلها مزهوون بها، يظنون أنها بجهدهم ازدهرت، وبإرادتهم تزينت، وأنهم أصحاب الأمر فيها، لا يغيرها عليهم مغير، ولا ينازعهم فيها منازع، وفي نشوة هذا الفرح الملعلع، وفي غمرة هذا الاطمئنان

⁽٢) إعلام الموقعين ١١٨/١.

⁽۱) تفسير المنار، محمد رشيد رضا ۲۸٤/۱۱.

الواثق، ﴿ آتُهُا أَمُّنَا لَيَلا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا وَمِي ومضة، وفي جملة، وفي خطفة. . وذلك مقصود في التعبير بعد الإطالة في عرض مشهد الخصب والزينة والاطمئنان، وهذه هي الدنيا التي يستغرق فيها بعض الناس، ويضيعون الآخرة كلها؛ لينالوا منها بعض المتاع، هذه هي، لا أمن فيها ولا اطمئنان، ولا ثبات فيها ولا استقرار، ولا يملك الناس من أمرها شيئًا إلا بمقدار» (١٠).

ثانيًا: الوحي:

قال تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَلَةِ مَا مَّ مُسَالَتُ الْمَيْدَةُ مِسَالَتُ الْمَيْدَةُ لِمِنَا لَالْمَيْدُ زَيْدًا رَّابِينًا وَمِمَا يُوفِيدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ البَيْفَلَة حِلْيَةٍ أَوْ مَتَعِ زَيْدٌ مِّ مُثْلَّةُ كَثَرِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقِّ وَالْبَطِلُ فَأَمَّا الزَّيْدُ فَيَذْهَبُ كَثَرِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقِّ وَالْبَطِلُ فَأَمَّا الزَّيْدُ فَيَذْهَبُ حَمْلَةُ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمَكُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ بَعْرِبُ اللَّهُ الْأَمْنَالَ ﴾ [الرعد: ١٧].

قال ابن القيم رحمه الله: «شبه الوحي الذي أنزله لحياة القلوب والأسماع والأبصار بالماء الذي أنزله لحياة الأرض بالنبات وشبه القلوب بالأودية، فقلب كبير يسع علمًا عظيمًا كوادٍ كبير يسع ماء كثيرًا، وقلب صغير إنما يسع بحسبه كالوادي الصغير فسالت أودية بقدرها واحتملت قلوب من الهدى والعلم بقدرها، كما

أن السيل إذا خالط الأرض ومر عليها احتملت غثاء وزبدا فكذلك الهدى والعلم إذا خالط القلوب أثار ما فيها من الشهوات والشبهات؛ ليقلعها ويذهبها كما يثير الدواء وقت شربه من البدن أخلاطه فتكرب عنه بها شاربه وهي من تمام نفع الدواء، فإنه أثارها؛ ليذهب بها فإنه لا يجامعها ولا يساكنها وهكذا ﴿ يَشْرِبُ اللّهُ الْحَقّ وَالْبَطِلَ ﴾ (٢).

وقال سيد قطب رحمه الله: «إن الماء لينزل من السماء فتسيل به الأودية، وهو يلم في طريقه غثاء، فيطفو على وجهه في صورة الزبد حتى ليحجب الزبد الماء في بعض الأحيان، هذا الزبد نافش رابٍ منتفخ. ولكنه بعد غثاء، والماء من تحته سارب ساكن هادئ ولكنه هو الماء الذي يحمل الخير والحياة. . كذلك يقع في المعادن التي تذاب؛ لتصاغ منها حلية كالذهب والفضة، أو آنية أو آلة نافعة للحياة كالحديد والرصاص، فإن الخبث يطفو وقد يحجب المعدن الأصيل، ولكنه بعد خبثٌ يذهب ويبقى المعدن في نقاء. ذلك مثل الحق والباطل في هذا الحياة؛ فالباطل يطفو ويعلو وينتفخ ويبدو رابيًا طافيًا ولكنه بعد زبد أو خبث، ما يلبث أن يذهب جفاء مطروحًا لا حقيقة له ولا تماسك فيه، والحق يظل هادئًا ساكنًا، وربما يحسبه بعضهم قد انزوى أو

⁽٢) الأمثال في القرآن ص١٢.

⁽١) في ظلال القرآن ٣/ ١٧٧٥.

غار أو ضاع أو مات، ولكنه هو الباقي في الأرض كالماء المحيي والمعدن الصريح، ينفع الناس»(١).

وفي هذا المعنى روى البخاري بسنده عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضًا، فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلالان والعشب الكثير، وكانت منها أجادب (ث) أمسكت الماء، فنفع وزرعوا، وأصابت طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني ونفع به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بغشل رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت بغثني ونفع به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع به) (٤).

ثالثًا: حال المنافقين:

قال تعالى: ﴿ أَوْكُصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَالَ فِيهِ

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، ص ٧٩.

ظُلُمُنتُ وَرَعْدُ وَبَرَقُ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي عَاذَانِهِم مِّنَ الضَّوَعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطُا بِالكَفِينِ ﴾ [البقرة: ١٩].

قال ابن القيم عن حال المنافقين: «ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي، فشبههم بأصحاب صيب -وهو المطر الذي يصوب أي: ينزل من السماء- فيه ظلمات ورعد وبرق، فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده وأوامره ونواهيه وخطابه الذي يشبه الصواعق، فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فلضعفه وخوفه جعل أصبعيه في أذنيه خشية من صاعقة تصيبه، وقد شاهدنا نحن وغيرنا كثيرا من مخانيث تلاميذ الجهمية والمبتدعة إذا سمعوا شيئا من آيات الصفات وأحاديث الصفات المنافية لبدعتهم رأيتهم عنها معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة، ويقول مختثهم: سدوا عنا هذا الباب، واقرءوا شيئا غير هذا، وترى قلوبهم مولية وهم يجمحون لثقل معرفة الرب -سبحانه تعالى- وأسمائه وصفاته على عقولهم وقلوبهم، وكذلك المشركون على اختلاف شركهم إذا جرد لهم التوحيد وتليت عليهم نصوصه المبطلة الماء الذي به الحياة لشركهم اشمأزت قلوبهم وثقل عليهم، لو وجدوا السبيل إلى سد آذانهم لفعلوا، وكذلك نجد أعداء

⁽١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٠٥٤.

 ⁽۲) الكلأ: النبات والعشب، وسواءٌ رطبه ويابسه.
 انظر: النهاية في غريب الأثر، ابن الأثير ١٩٤/٤.

⁽٣) الأجادب: صلاب الأرض التي تمسك الماء فلا تشربه سريعًا.وقيل: هي الأرض التي لا نبات بها.

انظر: النهاية في غريب الأثر ١/٢٤٣.

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقل ذلك عليهم جدا فأنكرته قلوبهم، وهذا كله شبه ظاهر ومثل محقق من إخوانهم من المنافقين في المثل الذي ضربه الله لهم بالماء، فإنهم لما تشابهت قلوبهم تشابهت أعمالهم»(١).

والعلاقة بين الماء وبين المنافقين واضحة جلية تتمثل فيما يلي:

أولها: أن الماء لا يستقر على حالٍ، فهو يتشكل بأشكالٍ مختلفة حسب الوعاء الذي يوضع فيه، وكذلك المنافق يتلون ويتقلب حسب المصلحة التي يريدها بعيدًا عن الثبات والمبدأ والقيم.

ثانيها: أن الماء ينحدر ويميل دائمًا في مجراه وحركته إلى السفل، وكذلك المنافق لا يتورع عن الانحطاط والسير إلى الحضيض.

ثالثها: أن الماء إذا قبضت عليه لم تجد منه شيئا، وكذلك المنافق إذا تمسكت به وتشبثت به ينفلت منك ولا تستطيع الاعتماد عليه.

رابعها: أن الماء إذا سرت معه أو فيه إما أن تبتل أو تغرق، وكذلك المنافق السير معه لا يأتي بخير فإنه إما أن يغدر بك أو تصيبك من رفقته الشبهة (٢).

رابعًا: أعمال الكفار:

قال تعالى: ﴿أَوْ كَفُلُلُمُنْتِ فِي بَعْرِ لَٰجِيّ يَغْشَنهُ مَوْجٌ مِن فَوْقِيهِ مَوْجٌ مِن فَوْقِيهِ سَعَابُ ظُلُمُنتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضِ إِذَا أَخْرَجَ يَكَدُ لَرَيكُذَ يَرَهَا وَمَن لَرَّيجُعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن ثُورٍ ﴾ [النور:

عن أبي بن كعب قال: ضرب مثلًا آخر للكافر، قال: فهو يتقلب في خمس من الظلم: فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومصيره ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار (٣).

وقال ابن القيم رحمه الله هذا المثل ضرب: «للذين عرفوا الحق والهدى وآثروا عليه ظلمات الباطل والضلال فتراكمت عليه ظلمة الطبع وظلمة النفوس وظلمة الجهل حيث لم يعملوا بعلمهم، فصاروا جاهلين، وظلمة اتباع الغي والهوى، فحالهم كحال من كان في بحر لجي لا ساحل له، وقد غشيه موج ومن فوق ذلك الموج موج ومن فوقه سحاب مظلم، فهو في ظلمة البحر وظلمة السحاب، وهذا نظير ما هو فيه من الظلمات التي لم يخرجه الله منها إلى نور الإيمان» (3).

⁽١) الأمثال في القرآن ص١١.

⁽٢) الماء في القرآن دراسة موضوعية، فتحي العبادسة، ص ٢٧٤.

⁽٣) جامع البيان، الطبري ١٧/ ٣٣٢.

⁽٤) الأمثال في القرآن ص١٨.

٤. تشكل الغيوم.

ذكر القرآن الغيوم العالية الركامية والتي هي مسئولة عن المطر الغزير وعن الثلج والبرد، يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَأَنَّ أَللَهُ يُسْرَجِي سَحَابًا مُمَّ يُولِفُ يَيْنَهُ أُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْفَ يَعْرُبُحُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاء مِن حِبَالٍ فِهَا مِنْ بَرَدِ مَنْ يَشَاء مِن حِبَالٍ فِهَا مِنْ بَرَدِ فَيُصِيبُ بِهِمِ مَن يَشَاء وَيَصْرِفُهُ عَن مَن يَشَاء أُو يَكُادُ سَنَا مَرْوِد يَدُهُ مَن يَشَاء أُو يَصْرِفُه عَن مَن يَشَاء أُو يَكَادُ سَنَا بَرُود يَدُه مَن يَشَاء أُو يَصْرِفُه وَالله والله والله والله من يَشَاء أُو يَكُادُ سَنَا بَرُود يَدُه مِنْ يَشَاء أُو يَصْرِفُه وَالله والله والله والله والله والله من يَشَاء أُو يَكُادُ سَنَا الله والله والله والله والله من يَشَاء أُو يَكُود مِنْ يَشَاء أُو يَصْرِفُه والله وال

﴿ يُعْرَقِي ﴾ أي: يحرك ويسوق، ﴿ رَكَامًا ﴾ أي: عاليًا بعضه فوق بعض، و ﴿ الْوَدْفَ ﴾: هو المطر الغزير. وهذه الآية من آيات الإعجاز العلمي التي تحتوي على معلومات دقيقة عن هندسة تشكل الغيوم وحدوث البرد.

٥. توزع المياه.

الماء لا يذهب عبثًا بل يتم تخزينه في الأرض؛ لينطلق على شكل ينابيع عذبة نشربها، وبالتالي تستمر الحياة، ولذلك قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَأَنَّ اللّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَنَّ نَسَلَكُهُ مِنْكِيعٍ فِ الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْمِعُ بِهِ مَنْكَهُ مُصْفَعَلًا مُنْفَعِ فِ الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْمِعُ بِهِ مَنْكَهُ مُصْفَعَلًا مُنْفِعًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيعُ فَى تَرْبَهُ مُصْفَعَلًا مُنْفَعَلَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْمُرْفِي الْمُولِي الْمُرْفِي الْمُولِي الْمُؤلِي الْمُؤلِي الْمُؤلِي الْمُؤلِي اللّهَ الزير من ٢١].

ثانيًا: وجود قوانين دقيقة:

إن جميع العمليات تتم بشكل منتظم وفق قوانين فيزيائية ثابتة؛ ولذلك فإن العملية

لمسات إعجازية في الماء

أولًا: دورة الماء في الطبيعة والبيئة:

ذكر الله في القرآن جميع الحقائق المتعلقة بدورة الماء ونزول المطر بشكل يتفق مع أحدث المعطيات العلمية؛ لنتأمل كل جزء من أجزاء الدورة المائية:

١. أهمية الشمس.

الشمس هي محرك الدورة المائية، ولذلك قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴾ [النبأ: ١٣].

فالشمس هي التي تبث الحرارة والضوء اللازمان؛ لتبخير الماء وتشكيل الرياح.

٢. دور الرياح.

بعد تبخر الماء يتكثف في السماء على شكل غيوم، والرياح هي المحرك الثاني لدورة الماء، كما أنها تقوم بمهمة التلقيح، يقول -الحق تعالى-: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرّيَكَ لَا يَعَلَىٰ فَأَنْ لَنَا مَنَ السَّمَلَاءِ مَلَهُ فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ وَمَلَا أَنْ فَيَعَلَىٰ فَالَا فَيْ السَّمَلَاءِ مَلَهُ فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ وَمَلَا أَنْ السَّمَلَةِ مَلْهُ فَاللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

٣. أهمية تخزين الماء.

الماء النازل من الغيوم يختزن في الأرض لمتات السنين دون أن يفسد، مع العلم أن أحدنا لو اختزن الماء لأيام قليلة فإنه سيفسد!!

ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُدُلَهُۥ يِخْدُرْنِينَ ﴾ [الحجر: ٢٢].

بأكملها مقدرة ومحكمة ومنظمة، ولذلك يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَّأَةً بِعَدرٍ عَلَّى السَّمَآءِ مَّأَةً بِعَدرٍ فَأَسَّكَنَّهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِد لَقَدرُونَ ﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِد لَقَدرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٨].

وكلمة ﴿مِقَدَرِ﴾ التي تشير إلى التقدير والنظام.

١. البرزخ الماثي.

من أهم أجزاء الدورة ما يحدث في منطقة المصب حيث تصب الأنهار في البحار، وهذه ذكرها القرآن عنها ولم يغفلها، يقول تعالى: ﴿وَهُو اللَّذِي مَرَجَ الْبُحَرِيْنِ هَلَا عَلْمَ مُرَجَ الْبُحَرِيْنِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا ال

ولولا أن الأنهار تصب في البحار لجفت هذه البحار، وقد حدث ذلك مع بحر «الآرال» الذي كان يتغذى من نهرين، وعندما قام البشر بتحويل مجرى النهرين، جف هذا البحر!!

٢. دور الجبال.

إن الجبال لها دور مهم في نزول المطر وتشكل الغيوم وفي تنقية الماء، يقول عز وجل: ﴿وَجَمَلُنَا فِيهَا رَوْسِيَ شَلِيخَنْتِ وَأَسْقَيْنَكُمْ مَّاهُ فَرَاتًا ﴾ [المرسلات: ٢٧].

ففي هذه الآية ربط المولى عز وجل بين الجبال الشامخة وبين الماء الفرات، وهذا ما يؤكده العلماء اليوم.

٣. المعجزات المائية.

ذكر الله في القرآن الخزانات المائية الضخمة المختزنة تحت سطح الأرض والتي تزيد كميتها عن المياه العذبة في الأنهار، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَلَةً مَسَلَكُهُ مِنَائِيعٍ فِ الْأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٢١]. فهذه الآية تتضمن إشارة إلى عمليات تخزين المياه في الأرض، وأن هذه الخزانات الطبيعية من المياه هي نعمة الخزانات الطبيعية من المياه هي نعمة من نعم الله حيث تتم تنقية الماء فيها باستمرار، وهذا الأمر لم يكن معلومًا زمن نزول القرآن.

خدر الله في القرآن المدة الزمنية الكبيرة التي يمكث فيها الماء في الأرض دون أن يفسد أو يختلط ويتفاعل مع صخور الأرض، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنْ الشّمَلَةِ مَآءً مِقَدْرٍ فَأَسْكَنّهُ فِي الْأَرْضُ وَلِنَا الْمَاء مَلَنَ مُهَامٍ بِلِمِ لَقَدْرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٨]. ففي هذه الآية إشارة إلى أن الماء يسكن في الأرض ويقيم فترة طويلة من الزمن. وعلى الرغم من وجود الأحياء الدقيقة والفطريات والأملاح والمعادن والمواد الملوثة تحت سطح الأرض، والمواد الملوثة تحت سطح الأرض، اليس الله -تبارك وتعالى - هو من أودع القوانين اللازمة لبقاء الماء بهذا الشكل الصائح للحياة؟

ذكر الله في القرآن العمليات المنظمة والمقدرة التي تحكم نزول الماء ودورته في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرَنَا بِهِ، بَلْدَهُ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرَنَا بِهِ، بَلْدَهُ مَنْ السَّمَآء مَآءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرَنَا بِهِ، بَلْدَهُ مَن السَّمَآء مَآءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرَنَا بِهِ، بَلْدَهُ مَن السَّمَآء مَآءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرَنَا بِهِ، بَلْدَهُ مَنْ الله مَقدر ومضبوط مقدر ومضبوط ومحسوب (۱).

ثالثًا: الماء والأرصاد الجوية:

ذكر الله في القرآن الكريم في كثير من آياته بعض الظواهر الطبيعية كالرعد والبرق والمطر.

قال تعالى: ﴿ أَلَرْ تَرَ أَنَّ اللَّهُ يُـنْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُوَلِّفُ يَيْنَهُ مُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَلَرَى الْوَدْفَ يَعْرُجُ مِنْ خِلْلِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاء مِن جِبَالٍ فِهَا مِنْ بَرَدِ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَلَهُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَن يَشَلَهُ يَكَادُ سَنَا بَرُقِهِ يَدْهَبُ بِالْأَبْصَدِ ﴾ [النور: ٤٣].

تشير الآية إلى جملة من الحقائق الباهرة التي لم تكتشف إلا بعد تقدم علوم الأرصاد الجوية في العصر الحديث، من ذلك:

يقول علماء الأرصاد الجوية: "إن المطريتوقف على تكوين السحب الماطرة (المزن)، ومن هذه المزن ما يسمى (المزن الركامي)، وهي سحب تنمو في الاتجاه الرأسي، وقد تمتد إلى علو عشرين كيلومترًا، وداخل السحب الركامية ثلاث طبقات:

وهي الطبقة السفلى وقوامها نقط نامية من الماء.

ثم الطبقة الوسطى وتكون درجة حرارة نقط الماء فيها تحت الصفر المئوي، ومع ذلك فهي باقية في حالة السيولة (٢).

أما الطبقة العليا فتتكون من بلورات الثلج ذات اللون الأبيض الناصع، وجعل الله سبحانه وتعالى نقط الماء فوق المبردة غير مستقرة قابلة للتجمد بمجرد ارتطامها بجسم صلب».

لذا فبمجرد أن تتساقط بلورات الثلج من الطبقة العليا إلى الطبقة الوسطى وتلتقي بنقط الماء فوق المبردة تلتصق البلورات بنقط الماء وتتجمد فينمو حجمها سريعا، وينشط عليها التكاثف فتتساقط على هيئة برد: ﴿وَيُنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَلَةِ مِن جِبَالٍ فِهَا مِنْ بَرَدِ﴾ وأثناء سقوط هذا البرد يلتقي بنقط الماء النامية فيتجمع معها، ويزداد حجم النقط كثيرا ولا يقوى الهواء على حملها فتتساقط على هيئة مطر، ويذوب أغلب البرد قبل وصوله إلى سطح الأرض.

ولنمو البرد وذوبانه أهمية عظيمة في

⁽١) دورة الماء بين العلم والإيمان، عبد الدائم الكحيل، ص٦٢–٦٣.

⁽Y) يجمد الماء تحت الضغط العادي في درجة الصفر المئوي، أما إذا اختل الضغط الجوي الذي يقدر بـ ٧٦ سنتمتر زئبق، فإن تجمد الماء وكذلك غليانه يختلفان، لذا تكون درجة الحرارة أقل من الصفر ولا يجمد الماء، لضعف الضغط الجوي.

عمليات شحن السحابة بالكهربائية التي تسبب البرق والرعد، فالبرد عندما ينمو فوق ملمتر يشحن بالكهربائية، وعندما يذوب يشحن أيضًا بشحنة مضادة، وفي كلتا الحالتين يحمل الهواء الصاعد شحنة كهربائية مضادة عظمى.

والآية الكريمة ذكرت كلمة ﴿ رَكَامًا ﴾ وأعقبتها بالـ ﴿ رَكَامًا ﴾ وقد أثبت العلم أن هذا النوع -السحب الركامية - هي الوحيدة التي تعطى البرد.

وفي التعبير بقوله: ﴿مُ يُولِفُ بَيْنَهُۥ الله سر الأسرار الدقيقة الرائعة التي تعتبر الآن من أمهات الحقائق الجوية؛ إذ فيها الدلالة على الحقيقة الكهربائية التي تقوم عليها تلك الظواهر الجوية كلها، فإن التأليف بين السحاب وصف دقيق للتقريب بين السحاب المختلف الكهربائية حتى يتجاذب ويتعبأ في الجو تعبئة الجيوش، وهو يتفق مع ما يريد الله أن يخلقه من بين السحاب من برق وصواعق، ومطر أو برد.

وتشبيه الآية الكريمة هذه السحب بالجبال لا يدركه إلا من ركب الطائرة وعلت به فوق السحب أو بينها، فإنه سيدهش لدقة الوصف؛ إذ يجد مشهد الجبال حقا بضخامتها ومساقطها وارتفاعاتها وانخفاضاتها.

وأشارت الآية الكريمة إلى عظم القوى

الكهربائية المشتركة في تكوين البرد بالنص على عظم برقه وشدته وبلوغه من الحرارة درجة الابيضاض، الذي يخطف بالأبصار ويصيبها بالعمى المؤقت، وأكثر من يعاني من هذه الظاهرة هم الطيارون: ﴿يَكَادُ سَنَا بَوْمِهِ يَذْهَبُ بِالْلَّبُصُارِ ﴾ (١).

موضوعات ذات صلة:

الآيات الكونية، الأرض، الأنهار، البحر، الجبال



⁽١) سنن الله الكونية، محمد الغمراوي، نقلاً عن لفتات علمية في القرآن، ص ٥٣.